



# اعطنا حيا

ملك عبد العزيز

كلنا نريدك يا وطننا

وفي قصيدة « في سفح عيال » تقول :

أحس عينيك وما فيهما من وهج يطر من السناء  
حولي تشعان بنجوى هواك  
نارهما السوداء كالصاعقة  
تنفض من نظرتك الحارقة «

كما نلاحظ حدة المشاعر التي ترجها حين تمر بها ازمة من ازمات  
الحب فنراها تنهار شاكية نائحة مستعطفة . ففي قصيدة « محراب  
الاشواق » نراها تقول :

ذني الذي قد هاج ثورة قلبك المترفع  
« كفرت عنه بأدمعي بنهدي بتوجعي »  
كفرت عنه بما ترى من « ذلتي وتخشعي »  
« وبخفض قمة كبريائي الشامخ الممنوع »

كما تقول في قصيدة « غب النوى » :

« حنانك » صقت وضافت حياتي بهذا الصدى المحرق اللهب

.....

« حنانك » قلبي يذوب ورائك ، آواه من « قلبي الذائب »

او في قصيدة « الصدى الباكي » :

« رحمة يا شاعري » وانظر الى اصداء روحي

انها في شعري الباكي استغاثات ذبيح

بينما نلاحظ نغمات جديدة نبنت في ديوانها الثاني « وجدتها » ثم  
استمرت في ديوانها الاخير « اعطنا حيا » متمشية مع النضج النفسي  
والعاطفي بل ومع تطور الوعي العربي العام . ففي قصيدة « الانفصال (1) »  
نراها تتحدث عن الروابط التي تربطها بمن تحب ومن بينها الرابطة  
الفكرية فتعدد تلك الروابط التي بنيا بها سجن الحب :

من الذكريات

« من الرأي اذ نلتقي عنده يا حبيبي

من الفكرة الواحدة » ...

بينما نلاحظ في الديوان الاول ان الرابطة الوحيدة هي الرابطة  
الماطفية الخالصة ، وان كانت مرتبطة ارتباطا كاملا بكون المحبوب شاعرا  
مجيدا .

وفي قصيدة « هو وهي » ترى الشاعرة تصور المحبوب بطيلا  
مكافحا (2) يحارب الطفاة من الحكام ويجاهد من اجل فلسطين وحرية  
الوطن العربي ، ويكافح من اجل الخلاص والوصول الى عالم افضل ،  
وان كان في نفس الوقت شاعرا (3) جعل من :

« الفن والشعر صوتا

يجلجل في ثورة لا تلين

على الفصاصيين حقوق الفقير

على السارقين جني الكادحين »

كما نلاحظ في ديوانها الاخير « اعطنا حيا » صورة البطل المكافح  
الشاعر في قصيدة الى المفرد السجين :

شدوك ياتينا حبيب الصدى

مطلقا رغم انفلاق الرحاب

لا يستطيع ناقد ان يتحدث عن ديوان فدوى الاخير « اعطنا حيا »  
دون ان يتعرض بالحديث لديوانها السابقين « وحدي مع الايام » الذي  
صدر سنة 1952 ، و « وجدتها » الذي صدر سنة 1957 . فدوانها  
الاخير ليس الا حلقة في ملحمة الحب التي توفرت الشاعرة المرهفة  
فدوى على كتابتها خلال حياتها الشعرية بأسرها .

الحب هو الموضوع الاساسي الذي تناولته هذه الدواوين الثلاثة .  
واذا كان في ديوانها الاول بعض القصائد بها تأملات صوفية ومناجاة  
للطبيعة وامتزاج بأسرارها وحديث عن نفس الشاعرة من خلالها مثل  
قصائد « مع الروج » و « خريف ومساء » و « الشاعرة والفراشة »  
و « أوهام في الزيتون » و « تهوية صوفية » ، فان نفسها لم تكسب  
تفتيح لهزة الحب الاولى ، حتى وجدنا « اشواقها الحائرة » (1) تجد  
مستقرها وتجد التعبير عن ذاتها في الحب ، وان كان من غير المعقول ان  
تمر نكبة فلسطين بشاعرة فلسطينية مرهفة دون ان تهز نفسها وتحرك  
كوامنها ، فنرى خمس قصائد حول هذا الموضوع في ختام ديوانها الاول  
« وحدي مع الايام » كما نجد في ديوانها الثاني « وجدتها » قصيدتين :  
احدهما قصيدة شبه قصصية هي « نداء الارض » والثانية « حلم  
الذكرى » تمزج فيها بين ذكرياتها عن شقيقها الجاهد الفقيده وبين  
القضية التي كان يكافح في سبيلها ، كما نجد ايضا في هذا الديوان  
قصيدة « شملة الحرية » مهداة الى مصر ابان كفاحها ضد العدوان  
الثلاثي .

اما ديوانها الاخير « اعطنا حيا » وما خلا ما ذكرت من قصائد  
الديوانين السابقين فيستأثر به موضوع الحب استثنائا كاملا : تصور  
حالته وابتعائاته الشعورية ومواقفه الانسانية ، عدا قصيدة واحدة  
وجهتها للشاعر المكافح كمال ناصر (2) فانها تلم فيها بقضية الحرية  
حين تقول :

يا طائري السجين اصدح لنا

رغم هوان القيد رغم الظلام

فلا فاق ما زال غنّي المنى

يبتظر الشمس وراء القتام

المجد للنور فلا تبتئس

والنصر للحرية الرائفة

وغدنا موطن احلامنا

فلا تقل حريتنا ضائعة

يا طائري هناك درب الرجاء

رغم انطباع الليل من حولنا

على اننا نجد تطورا ملحوظا لدى الشاعرة في تصوير المشاعر  
التي يبعثها الحب ، ففي ديوانها الاول نراها تلتفت التفانا كبيرا الى  
تطوير الاثر الحسي وسطوته فنراها تقول في قصيدة « غب النوى » :  
وفي غمرات اللهول العميق  
فاشخص ثم اغض حياء  
تطالعتني القمامة الفارعة  
واكسر من لهفتي الجائفة  
ترج دمي الطلعة الرائفة

( ١ ) للشاعرة قصيدة باسم « اشواق حائرة » ص ٣٢ من ديوان  
« وحدي مع الايام » .

( ٢ ) قصيدة الى المفرد السجين ص ٣٠ من ديوان « اعطنا حيا » .

من ديوان « وجدتها » ( ٣ ) ص ١٨١ من ديوان « وجدتها »  
من ديوان « وجدتها » ( ٣ ) ص ١٨١ من ديوان « وجدتها »

يا طائري السجين فاصدح لنا  
من خلف جدران الدجى والعذاب  
غن فقصبان الحديد التي  
تسد في وجهك رحب الفضاء  
لن تحجب الفناء عن سمعنا  
يا طائري : غن فدرب الرجاء  
ما زال يمتد مشع الفياء  
رغم انطباق الليل من حولنا

فلم يعد الشعر وحده كافيا لرسم صورة المثل الاعلى في خيال  
الشاعرة ، بل اننا لنجد في هذه القصيدة المهفة تهاؤلا واما في  
المستقبل لانجدهما في قصيدتها الرائعة « نداء الارض » ( ٤ ) التي تصور  
لاجنا جذبه الحنين الى السر الى حدود الارض المنتصبة حتى اذا بلغها  
صرعه المفتضون المجرمون فامتزج دمه بترابها المقدس .  
وفيما يختص بهذا الامر - أي بمأساة فلسطين - نلاحظ ان قصائد  
الشاعرة في ديوانها الاول كانت اكثر املا ورغبة في الثأر ودعوة له  
خصوصا في قصيدتها « بعد الكارثة » و « رقية » . ففي نهاية  
القصيدة الاولى نراها تقول :

ستنجلي الفسرة يا موطني  
ويمسح الفجر غواشي الظلم  
والامل الضامء مهما ذوى  
لسوف يروى بلهيب ودم  
فالجوهر الكامن في امتي  
ما يأنلي يحمل معنى الضرم

لكن للثأر غدا هبة

جارفة البول عصفوا عم  
فالقربة الصماء قد الهبت  
في كل حر جفوة تضطرم  
لن يفعد الاحرار عن ثأره

وفي دم الاحرار تغلي النقم  
وهذا التطور في نفس الشاعرة في هذا الموضوع  
يفسر ان نكية فلسطين قد هزت النفوس وانهبتها  
ونبهتها الى وجوب العمل للثأر، فلما امتد الاهد دون  
تحقيق الامل، بدأ الياس يتسرب الى النفوس، وحل  
الحنين والحلم مكان الامل في الكفاح ، فامسا

قامت الانتفاضة العربية الاخيرة بقيام الثورة المصرية عاد الامل مجددا،  
وعادت النفوس تتطلع الى المستقبل في ثقة .

على اننا اذا عدنا الى موضوع الحب لوجدنا ان التطور الشعوري  
لدى الشاعرة يتفقا بعد ديوانها الاول من مرحلة الفتاة الصغيرة العابدة  
الضارعة المتلقية التي يكون الرجل بالنسبة اليها بمثابة الاب تلجا اليه  
وتحتمي به - الى المرأة التي تعطي وتمنح مثلما تأخذ ، المرأة التي تملك  
« الينابيع والخصب » وتملك البئبل مثلما تملك التلقي ، والى الام التي  
تحنو على من تحب وتبذل له الرحمة .

ففي قصيدة « قصة موعد » من ديوانها الاول ، نرى تلك الفتاة  
العابدة الضارعة المنفجعة :

هناك على شاطئ كم حواك  
تلمل قلبى فوق الرمال  
« يعانق ذراتها في ابتهاج »  
« ويلثم فيها رسوم خطاك »  
واجهشت في « وله ضارع »  
ومن غربة الدار في شقوتين  
وقد بت من « بأسى الفاجع »  
ولم ادر كيف ولم ادر أين  
أفتش عن عالمي الضائع

بينما نجد الشاعرة في ديوانها الثاني هي المرأة الخصبة المعطاء :

كلما ناديتني جئت اليك ( ٢ )

بكنوزي كلها ملك يديك  
بينايبي بانماري بخصبي  
يا حبيبي .  
وفي قصيدة « تشك بحبي » ( ١ ) نسمةها تقول :

وحين رجعت اليك  
رجعت بكل تعطش قلبي  
« لانشر ظلي عليك  
لاعطيك حبي »

فهي الام الحنون العطية رغم انها تتحدث عن بطل مكافح خاض  
الردى ، ورغم انها قد تستشعر العبادة والتفديس للبطولة فتقول :  
وهي في استغرافها يجتاحها موج شعور أبكم ( ٢ )  
فيه ألوان من « الرحمة » والعشق وتفديس البطولة  
فيه احساس العبادة  
والتفت عيناهما في نظرة دامعة جذلى طويلة ،  
حين مرت بحنو راحتها  
فوق جرح كم تمت لو يداها

لقتنا في ساحة الحرب ضماده  
بل ان الشاعرة نفسها لتي هذا الاحساس  
الجديد فتقول :

تلمست تلك الجراح الفوالي ( ٣ )  
« وشيء بصدري كحس الامومة »  
تلمستها وحنوت عليها  
بروحي « الرؤوم » ونفسي « الرحيمة »

بل ان هذا الاحساس العارم بالامومة لياون  
صورها الاخرى ، فنراها في قصيدة « نداء  
الارض » تصور العلاقة بين الالجيء وارضه  
السلبية علاقة امومة ، فتصور النساء بها على  
الحدود بقولها :

ومرغ كالطفل في صدرها الرحب خدا وفم ( ٤ )  
والقى على حضنها كل ثقل سنين الالم  
كمن تصور احتضان الارض السلبية لجدت  
اللاجيء بقولها :

تلف ذراعين مشتسافتين  
على جسد هامد مستريح

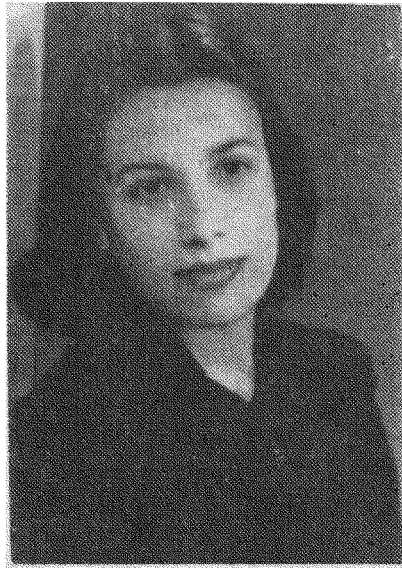
اما ديوانها الاخير « اعطنا حبا » فاذا كنا نجد فيه خيطا واحدا  
كثير باق من تصوير الشاعر الحية العنيفة في قصيدتها « القصيدة  
الاولى » حيث تقول :

ها انت في عينك عاصفة  
تجتاحني وهبوب اعصار  
ها انت بحر راح ياخذني  
في موجتيه أخذ جبصار

فان النغم الغالب الذي تسج منه بقية ديوانها هو نغم الامومة  
المعطاء ، ولذلك نجد كلمات - الخصب - و - السخاء - و - الفيض -  
و - الفنى - و - الامتلاء - و - الزرع - و - والبذار - و - العطاء  
يكثر تردها في شعرها ، وتعطي الصورة الكاملة للمرأة الطبيعية التي  
تؤدي الدور الذي رسمته لها الطبيعة منذ بدء الخليقة : دور المعطاء .  
فالشاعرة تعطي الحب من حنانها كما تعطي الحبيب ، فتقول في  
« القصيدة الاولى » عن حباها وكان طفلها تسقيه وتناغيه :

اسقيه من عطري اوسده  
صدري آناغيه باشعاري  
ثم تخاطب المحبوب بقولها :

( ١ ) ص ٩٢ من ديوان « وجدتها » ( ٢ ) ص ١٨٥ « وجدتها »  
( ٣ ) ص ٤٤ من ديوان « وجدتها » ( ٤ ) ص ١٧ من ديوان « وجدتها » .



لهواد كل « مواسمي امتلات »  
« وسخت ببيض » جني وازهار  
وتقول في قصيدة « عد من هناك » عن غير الذكرى :  
يدعوك يهتف : عد لها

يا طفلها

عد من هناك من البعيد

« لصدرها الحاني الظلال »

فالحب - كما هو في الطبيعة - هو أيضا في احساس الشاء-ورة  
مصدر الخصب والفنى والامتلاء : هو الذي يفجر الشعر والحلم ودفء  
النسى : غبت ؟ ولو غبت فما زال في (١)

دمي غير منك يرويني

« يخصبني » « يملأ كوني غنى »

يمنحني أجمل ما في الدنيا

الشعر والحلم ودفء النسي

بل انها لتحضنه كما تحضن الام وليدها ، بل تحمله في ذاتها كما يحمل

الجنين : وحين يؤوي الليل اهل الهوى ( ٢ )

« أحضن اشواقى » وأغفو على

ذكرى توافيتي

ذكرى هنيهات ملاء فصار

أحملها في « سر تكويني »

والحب فيض يروي القلوب فتتمرع :

انت شربت الغمر من حبنا ( ٣ )

وأنت « أمرعت على خصبنا »

بل هو البذرة التي تزرع في الارض الخصبة فتتفجر فيها كنوز

الخير : اعطنا حبا فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر

واغانينا سنخضر على الحب وتزهر

وستتهل عطاء

ونراء

وخصوبة

اعطنا حبا فتبني العالم المنهار فينا

من جديد

ونعيد

فرحة الخصب لديانا الجديدة

اما حين يزرع في الارض البوار فانه لا يغل :

لكن علمنا بعد حين

انا زرعتنا زرعتنا في الملح في الارض البوار

انا ضللنا حين القينا البذار

في قلب ارض لا تفعل

كان الجفاف نصيبنا ولغيرنا خصب وظل

والحب في مشاعر الشاعرة - هو الباني وهو المحرك للحياة المفجر

لنبيها الدافع الى انتصاراتها فهي تقول :

الهوى كان « لنبني ولنعطي » ( ٤ )

خير ما فينا

لا ليغنيننا

ويحيل النور والخصب ظلما ورمادا

في اغانينا

وتقول ايضا في نفس القصيدة :

اعطنا نورا يشق الظلمات المدلهمة

وعلى دفق سناء

ندفع الخطو الى ذروة قمة

( ١ ) قصيدة « اليه بعيدا » من ديوان « اعطنا حبا » .

( ٢ ) من قصيدة « اليه بعيدا » من ديوان « اعطنا حبا » (٣) من

قصيدة « غير ان » من ديوان « اعطنا حبا » ( ٤ ) من قصيدة

القصيدة الاخيرة « من ديوان « اعطنا حبا » .

نجننتي منها « انتصارات الحياة »

والشاعرة تريد ان تعيش الحياة مليئة نابضة مرتعشة ، ولا ترى

في شيء سوى الحب القدرة على ذلك وعلى ان يبلغ بها ذروة الحياة

ويملكها كنوزها :

مازال في نفسي يوم الثلوج ( ١ )

اغنية بيضاء

عميقة الاصداء

أعيشها « أحيا ارتعاشاتها »

.....

وكنت لي يا فنتني الكبرى

قصيدة ، قصية كبرى

« تبض في اعماقي الغافية »

ويومها احسستني يومها

أعانق الحياة في مجدها

وجدتني « ابغ ذرواتها »

رأيتني « أملك ثرواتها »

فالحب « بعيد نسج الحياة جديدا » (٢) وصوت الحبيب « يرف

ويرعش في كل شيء » (٣) ، وهو في نظر الشاعرة المهرب والمنقذ من

الوحدة والوحشة والفراغ ورنابة الحياة ، وهو رأي لها قديم منذ

ديوانها الاول « وحدي مع الايام » ففيه تقول في قصيدة « قصة

موعد » : كفاي بان الهوى قد احال فراغ حياتي غنى وامتلاء

وفي ديوانها الاخر تقول في قصيدة « وقد حدثتني ذات ليلة :

هتفت من الجانب الاخر

وكنت بعيده

اهيم وراء شواطئ ذاتي

اهيم بعيدا وليس معي

سوى وحشة الليل في مخدعي

وفي الدار حولي فراغ الصحارى

وصمت القفسار

وكنت وحيدة

اعيش حياتي بغير انتظار

بغير انفعال مثار

وكنت طويت كتاب الحنين

وشوق السنين

واخمدت نارى

.....

ورن هتافك عبر المسافات

يطرق باب انطواني

« يفجر نبع الحياة بأرضي »

ويلمس عمق سمائي

وفي قصيدة « ذاك المساء » (٣) تصف حالة الفراغ التي تحسها بعد

ان انتهت حكاية حب :

كان الفراغ يخط في عيني ثقله

ونفاهة الاشياء تلقي

ظلمها الخاوي بنفسي

وتلف ايامي البطيئات المملة

فحكاية الحب التي أنهيتها

شيعتها

فالحب هو الذي يفجر الحياة وهو دائما مصدر الخلق :

... كان بالامس القريب (٤)

( ١ ) من قصيدة « يوم الثلوج » من ديوان « اعطنا حبا »

( ٢ ) ، ( ٣ ) من قصيدة « وقد حدثتني ذات ليلة » من ديوان

« اعطنا حبا » . (٣) من ديوان « اعطنا حبا »

(٤) من قصيدة « الاله الذي مات » من ديوان اعطنا حبا

تخلق الافكار فينا والشموس

ويعطينا كنوزا وكنوز

من رؤى الابداع والخلق وأمجاد الخلود

ولئن كان للشاعرة اشعار خالصة في الطبيعة في ديوانها الاول مثل قصيدتي « المروج » و « الفراشة » - الا انها لم تكن تستشعر الحب حتى اصيحت الطبيعة في خدمته - اصيحت اطارا له ، وجوا شعريسا يمرح فيه ، وصورا جميلة ، مشرفة تعبر بها عن مشاعره وطبوفه ، بل قد جعلها مهربا من غدر البشر وخيبة الحب وماوى تجد فيه الحنان وسكينة الروح (1) . فنحن لانجد في ديوانها الثاني سوى قصيدة واحدة خالصة للطبيعة هي « هنيهة » تصور فيها لحظة السلام والاتحاد بالطلق التي استشعرتها وهي في « رفيديا قرية الظلال الخضراء » . بينما نجد الطبيعة اطارا ساحرا للحب في اكثر قصائد ذلك الديوان مثل قصيدة « الكون المسحور » و « هل تذكر » او خلال قصيدتها الطويلة « هو وهي » حيث تقول مثلا :

وراح يمر يدا تندى ( ٢ )

على خدها بافتتان وحب

وعانق فيها اشتعال الشباب

وعانق فيها اضطرام الحياة

ونيسان حولهما يتنفس

في الشط عطرا نومما شذاه

وقد سكنت في المكان الظلال

واضطجعت فوق مهد الضياء

وأغفت دورب الحدائق في الشمس

ناعمة وارتخت في انتشاء

وكان هنالك برعم زهر

يفتح قرت عليه فراشة

ومدت عليه جناحين تعمر

سكونهما رجفة وارتعاشة

مشاهد حين استراحت عليهما

عيون الحبيبين عبر الضياء

بدت لهما « صورة » لتفتح

نفسيهما للهوى والهناء

ونحن لم نكن بحاجة الى الاسطر الاربعة الاخيرة لنعلم ان صبور الطبيعة التي وصفتها الشاعرة كانت لتفتح نفسيهما للهوى ، فمن الواضح ان تلك المشاهد لم تكن مجرد « صورة » لتفتح نفس العاشقين بسبل كانت - في الحقيقة - انعكاسا لما في نفسيهما وخلعا له على مظاهر الطبيعة المرئية . فليست الظلال هي التي « سكنت » ولا دورب الحدائق هي التي « ارتخت في انتشاء » ولا برعم الزهر هو الذي « يفتح » ولا اجنحة الفراشة هي التي ترجف وترتعش ، بل هي نفس الشاعرة التي تشعر بكل ذلك في ذاتها فتخلعه على مظاهر الطبيعة من حولها ، وتعبّر بصورها الخارجية عن عالمها النفسي الداخلي على طريقة التعبير عن المشاعر الداخلية ويمزج بينهما في حلول شعري رائع .

وفي ديوان « اعطنا حبا » لاتزال الشاعرة تتبع هذا النهج في التعبير فتاتي بصور حافلة بنبض الطبيعة مفعمة بأريجها . ففي قصيدة « اليه بعيدا » تطلنا لوحة رائعة رسمها في لمسات سريعة مرهفة تعطينا بها صورة نابضة متوهجة ل احساسها النفسي بفرحة الحب :

فأصحب الشمس الى موعدي

أصحبها وفي دمي يقظة

يبعثها الحب فتعطيني

تذوق الحياة حس الجمال

الوهج الضاحك فوق التلال

الخضرة الربا بحضن الجبال

روائح الارض ارتعاشاتها

نكهتها ألوانها كل ما

في الدروب من جمال

ملون الظلال

ولم تتركنا الشاعرة هذه المرة نحدس طوبلا من « الوهج الضاحك » و « نضرة الخضرة » و « ارتعاش الارض » فقد صرحت لنا من البدء بان الحب هو الذي يعطيها هذه المشاعر وينقل هذه الصور من الطبيعة الى داخل ذاتها .

واحساس الشاعرة بالطبيعة احساس اصيل رغم انها اصيحت تضعها في خدمة الحب ، وهو يصل في كثير من الاحيان الى الحلول الصوفي . ولئن كان للشاعرة قصيدة صوفية خالصة في ديوانها الاول - تتوق فيها الى الاتحاد بالطلق - مبعثها صوت المؤذن في الفجر - فان اكثر مشاعرها الصوفية - كان مبعثها مجال الطبيعة . ففي قصيدة « الشاعرة والفراشة » (1) نسمةها تقول :

رنت فتاة الشعر مأخوذة بصورة الطبيعة الخالصة

والافق الغربي تطفو به ألوانه الوردية اللاهبة

كانه أرض خرافيــــــــــــة هوت لها شمسها الفاربه

ودت وفيها لهف كاسح « لو تأخذ الكون الى صدرها »

« تحضنه » وتשב الروح من أياته الكبرى ومن سحرها

« تعانق الارض تصم السما تقبل الفيوم في سيرها »

وفي قصيدة « اشواق حائرة » ( ٢ ) تقول :

فاود لو افنى وادمج في عمق السماء ونورها الباسم

وكذلك قصيدة « هنيهة » في ديوانها « وجدتها » والتي اشمرت اليها فيما سبق .

وليس هذا فحسب ، فكما ان الطبيعة اطار للحب وباعثة للمشاعر الصوفية فان الحب نفسه باعث لتلك المشاعر بل هو ممتزج بها كما كان المتصوفة يتخذون من محبة المحبوب طريقا للوصول وسبيلا للاتحاد بالطلق . فالحب والطبيعة والاحساس الصوفي افانيم ثلاثة تمتزج في نفس الشاعرة وتتساقى المشاعر والصور والالوان وان اختلفت النسب من قصيدة لاخرى . ففي قصيدة « سمو » من ديوانها الاول نراها تقول في ختامها :

اخالك صورة حب كبير جلاها لعيني وحي السما

تهييء روحي لصوفية وتنفض عنها غبار الثرى

وفي ديوانها الثاني في قصيدة « انا والسر الضائع » تقول :

لقيته لا حلما انما

حقيقة ساطعة باهره

عانقت فيها حين عانقها

الله والحب وسر الحياة

وفي ديوانها الاخير في قصيدة « وقد حدثني ذات ليلة » تعبر عن فرحتها حين حدثها المحبوب في الهاتف فتقول :

ويا لانعمائي

ويا لانخطافي

ويا لانخطافي

وراء حدود الزمان

وفي ديوانها الاخير تختم قصيدتها « اسمك » بقولها :

اسمك لي :

يا كلمة ماتني

تجاور اسم الله في قلبي

وبنفس الطريقة التي تستخدم بها صور الطبيعة للتعبير عن مشاعر

- التتمة على الصفحة ٨٩ -

(١) ديوان « وحدي مع الأيام »

(٢) ديوان « وحدي مع الأيام »

(١) قصيدة « انطلاق » من ديوان « وحدي مع الأيام » (٢) ص ١٧٥

١٧٦ ، ١٧٧ من ديوان « وجدتها »

## الحب والخصب

تتمة المنشور على الصفحة ٣٦ -

الحب ، نراها تستخدم الفاظ المشاعر والشعائر الدينية للتعبير عن مشاعرها فقصيدتها الموجهة للعام الجديد تتخذ عنوانا لها « صلاة الى العام الجديد » (١) وتبدأها بقولها :

في يدنا لك اشواق جديده  
في ماقينا « تسابيح » وألحان فريده  
سوف نزجها « قرايين » غناء في يديك  
وفي قصيدة « اغنية البجعة » (٢) ، تقول عن الحب :  
في الليالي الممطرات الدف شدنا حوله  
« تعبدا » أغممه خصب الهوى شعرا وفنا  
وعلى أجنحة النشوة « طوفنا به »  
« وتعدنا » لدى « محرابه »  
« وتلونا » كم تلونا  
« سور » الحب لديه كم عزفنا  
اغنيات البهجة الكبرى له

وكذلك قصيدة « الاله الذي مات » (٣) ، فالقطع الاول من القصيدة فضلا عن رمز القصيدة ذاته يمثل اكبر تمثيل امتزاج صور الحب والدين في وجدان الشاعر :

نحن جننا لنطوي عنده « سفر الذنوب »  
« لنصلي ونسب »

وبأبدنا له « كفاية » الشعر « وقران الاغاني »

على اننا نجد في ديوان « اعطنا حبا » بعض التطور في تناول مشاعر الحب ، ظهرت بوادره الاولى في ديوان « وجدتها » في قصيدتي « القيود الفالية » و « لا انفصال » ، وهو اتجاه التأمل في مشاعر الحب الدقيقة واستقصاء خلجاتها الخفية ، بعد ان كان التعبير عنها في ديوانها الاول انفجارات عاطفية لافتة جياشة ، لاستطيع الشاعر ان تبحر جماحها لتخضعها لتأملها الهاديء السناني ، بينما قد استطاعت في اتجاهها الجديد ان تحلل بعض مشاعر الحب المعقدة ، وترسم لنا دقائقها الخفية المرهفة ، وفي ديوانها الجديد « اعطنا حبا » نجد لها بضع قصائد تحاول نفس المحاولة مثل قصيدة « أسطورة الوفاء » التي تسخر فيها او تياس من وجود الوفاء ، وهي في جو هذا اليأس الذي افقنتها به تجارب الحياة لا تشرق بل تسلم تسليم من ألف الحياة وألف مرارتها حتى فقدت المرارة طعمها ، حتى لتكاد تخلو القصيدة من الانفعال مما يجعلها اقرب الى السرد النثري :

اسأل مثلك :

أين الوفاء

وماذا عن الاوفياء

وأين هوائك القديم

وأين النساء

مئات النساء اللواتي حببت

وكل امرأة

تظنك ملك يديها

وتحسب حبك وقفا عليها

بينما تحتفظ قصيدتها التأميلية الثانية « الكلمة والتجربة » (٤) بشيء كثير من حرارة الانفعال التي تستلج الصور الشعرية بل والانسجام الموسيقي ، رغم انها تعالجها بطريقة موضوعية فيها تجريد المعنى العام المستمد من تجارب كثيرة سابقة ، لا خصوصية التجربة المرتبطة بعادة

واحدة معيئة ، فتقول عن كلمة الحب :

نسمعها ، نسمعها نغمسة

تسبب في لين حريريته

فترعش الخصرة فوق التلال

ويستفيق الجمال

ويستحيل الكون أغنيته

ثم تأتي قصيدتها التأميلية الثالثة « لا مفر » (١) . والشاعرة تصدرها بكلمة ، نثرية هي « لا أؤمن بجبرية تأتينا من الخارج ، وانما الجبرية تكمن في داخل الذات ، هي جزء لا ينفصل عن النفس ، ومن هنا مأساة وجودنا الانساني » . وهذا المضمون هو - كما يرى القارئ - مضمون عميق مأسوي كبير ، يوجد في النفس التي تعيه الوانا من التأمل والصراع . ولكن الشاعر تناولت هذا الموضوع - الذي يصلح موضوعا لدراما غانية - تناولا هينا كاد يخلو من الاحساس بوطأة المأساة ، فجاء التعبير عنه فاترا نثريا يكاد يكون خاليا من الصور الوحية ، ومن لدغ الصراع :

لو اني رجعت وملء يديه

تجارب عمري وخبراتي

وما لقتني الحياة الكبيره

وما علمتني السنون الكثيره

لصدت برغمي لخطايه

ونفس حماقاتيه

لكنك اواجه نفس المصير

ونفس الضياع

ومثل هذا الموضوع كان خليقا - لكي يأخذ ابعاده الحقيقية ويتمثل تمثلا كاملا بكل جبروته - ان يضمن في اسطورة او في رمز كلي جامع ، تثيري عن طريقه الصورة الفنية ، ويتحقق لها الكيان الكامل الصلب التحيز الذي يهز وجدانا ، فالشعر الفكري او التأملي لا بد - لكي يعتبر شعرا - من ان يمر اولا بالوجدان وتشحنه العاطفة بحرارتها وبيشية الخيال - الذي أبقظته العاطفة - بصوره المجسمة الخلاقة .

على ان شاعرنا وان كانت قد نجحت نجاحا كبيرا في قصيدتيها التحليليتين اللتين اشرت اليهما في ديوان « وجدتها » فان اتجاهها الحقيقي هو في التعبير العاطفي النطلق انطلاقا مباشرا حرا كطبيعتها التي تكره القيود وتتحدى الجدران . وهي قلما تلجأ الى الرمز ، وان لجأت اليه فلن تجد فيه غموضا كثيرا . ورغم انها نجحت نجاحا رائعا في محاولة في قصيدتها « الصخرة » (٢) ثم « دوامة الفبار » - الا انه ليس اتجاهها الاصيل ، فهي لم تلجأ اليه او الى شيء منه في ديوانها الاخير « اعطنا حبا » الا في ثلاث قصائد : « الاله الذي مات » و « الهزيمة » و « رجوع الى البحر » . وفي هذه القصيدة الاخيرة ترمز الشعاعرة بالبحر للقلق والتيه والضياع بل للكفوف بعد ان وجدت الجزيرة التي طالما حلمت بها ليست سوى قفر ملح لانتبت فيه بذرة الحب . والرمز في هذه القصيدة قد اعطاها عمقا وتجسيدا واعطاها الصورة الكلية الموحية بالصور الجزئية النابضة .

على ان اجمل ما في شعر فدوى هو ذلك الانطلاق العاطفي الجنج الذي ينبض صدقا وحرارة ، وينساب في بساطة وحرية وعدوية ورقة ، ولا اشعر اني قرأت مرة شعر فدوى - حتى قصائدها الحزينة ، الا واحسست بالانتعاش والتفتح والانطلاق ، فكان روحها فراشة تنبض بالحياة وترتمش خفقاتها وسط روضة مشرقة بالزهور مفعمة بالعبير ثم تمضي تحلق وتحلق وتعلو وتعلو ، حتى تقيب في الاثر وتتخسد بالمطلق . وهذا الاثر الذي تبعثه في النفس يوحي به - فضلا عن تدفق مشاعرها ، واطلاقها لها اطلاقا حرا حتى من الاسطورة والرمز - يوحي به كثرة استخدامها لالفاظ « العرشة » و « الانتفاضة » و « النفضه » و « الايقاظ » و « الاختلاج » و « الرفيف » ، و الزهوة والازهار

(١) من ديوان « اعطنا حبا »

(٢) من ديوان « وجدتها »

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) من ديوان « اعطنا حبا »

الى السيطرة على الشاعر واحكام قيادتها والى الاختفاء خلف الرمز، والى اخفاء التجربة الخاصة خلف المعنى العام الذي يشير اليه ، بينما شعر فدوى شعر ذاتي منطلق لا يطبق الصبر للترصد والاختفاء ، ولا يطبق كبح الشعور الذاتي لتجسيده في صورة مجسمة تلوح - ظاهريا - منفصلة عن تجربة الشاعر الذاتية الخاصة .

ولا يستطيع ان انهي حديثي عن ديوان فدوى الاخير وعسن وسألها في التعبير دون ان اشير الى قصيدة « غيران » ، فكم فيهما من الرقة والحنو كأنما هي ام تحنو على صغيرها تدلله :

غيران يا زنبق ! ..  
غيران يا كنز امانينا ؟  
اذن لمن صغنا اغانينا ؟  
لمن منحنا خير ما فينا ؟  
يا غينا الحبيب يا زنبق

وقد وفقت الشاعرة في التعبير عن هذا الاحساس ، ليس فقط بالنسأل المستنكر الذي يتردد في رقة بالفة من حين لآخر في ثانيا القصيدة والتي قصرت عن عمد عن باقي الاسطر لتوحي ابعاء دقيقتا مرهفا بالحنان المدلل الرقيق الذي يشبه حنان الام فكانني بها تميّل حانية عليه وتقول :

غيران يا زنبق ؟  
أو  
ونحن هل نجحد ؟  
أو  
من قال يا زنبق ؟

وما كانت الشاعرة لتستطيع ان توحي لنا ابعاء حيا بهذا الاحساس لو جاءت اسطر القصيدة كلها متساوية الطول . واخيرا وانا احبي الشاعرة الراهفة التي قالت عن نفسها في ديوانها الاول :

لم تك الا نغما شاجيا على رباب الشوق والصبوة

احب ان اسألها ، اما تخشى ان تكون مواقف الحب ومساائله - في حدود ما يتاح لها من تجربة - قد استنفدت في دواوينها السابقة ؟ وانها قد تكون تكررت في بعض القصائد ؟ .. ولئن كانت قد جددت في صورتها او في طريقة التعبير احيانا اما تخشى ان تجد نفسها تكرر ذاتها مضطرة اخر الامر ؟ لعلي اطمع في ديوانها المقبل ان تجد اهتمامات اخرى وان ترود افاقا جديدة حتى نظل دائما نتمتع بفتحها الراهف الخلاق .

ملك عبد العزيز

صدر حديثا :

## لهات الحياة

مجموعة شعرية وجدانية

للدكتور يوسف عز الدين

دار العلم للملايين

و الطراوة والندادة والوهج والعبر  
واذا كان يقبل على ديوانها الاول حدة المشاعر وعنفها واصطناع مابلانمها من البحور الطويلة في كثير من الاحيان ، واستخدام الالفاظ التي تحمل قدرا من الجزالة - الا انها لم تلبث في ديوانها التاليين ان مالت اكثر الى الرقة والراهافة التي تلائم الشاعر الجديدة التي تفجرت في ذاتها - مشاعر الامومة الحانية المعطية ، كما اصبحت اكثر تصرفا في الاوزان لتلائم في دقة بين مشاعرها وموسيقى نفسها . ولكنها كانت في الحالين حريصة دائما على انتقاء اللفظ الدقيق الاينق المعبر ، فلا تنساق وراء الذاكرة في اجتلاب الفاظ لا ضرورة لها ، اولا تعبر تعبيرا دقيقا عمسا في نفسها .

على ان هناك اتجاها جميلا لاحظته في ديوانها الاخير « اعطنا حيا » وهو استخدام بعض الصور التي تحمل سداجة وراهافة ساحرة من مثل ما يستعمل في الشعر الشعبي فيكسبها نضرة والفة تلمس القلب . ففي قصيدة « يزورنا » تقول :

« مدى على الدرب بساطا حرير »  
وجدولا من عبر  
« يحمل من أهوى الى دارنا »  
كما تقول :

يزورنا في الجمعة المقبلة  
« وددت لو افرش عيني له »  
وددت كم وددت لو في يدي  
مملكة الضياء ، لو في يدي  
« أشيد من نجومها سلما »  
لسدارنا  
اشيده من اجله حينما  
يزورنا »

كذلك استعمالها لكلمة « الله » كما نستعملها في حديثنا اليومي لظهار غاية الإعجاب :

يزورنا في الجمعة المقبلة  
الله ! هذا الوعد ما أجمله

او في قصيدة « يوم الثلوج » ( 1 ) :

الله ما أحلاه يوم الثلوج !

ولغدوى بعض الصور الكلية التي قد تصل الى مرتبة الرمز الكامل الذي قد يستغرق القصيدة من بدايتها حتى نهايتها كقصيدة « العودة الى البحر » التي اشرت اليها او التي تستغرق جزءا من القصيدة ، مثل قصيدة « هزيمة » ( 2 ) التي تستخدم في الجزء الاوسط منها صورة الجدار رمزا لما قام بين الحبيبين من ظنون وشكوك فقد فرغت منه صورا جزئية تناسبه وتنمى معه لتكمل بها هيكل الصورة . وقد وفقت الشاعرة في هذه الصورة ، كما وفقت في قصيدة « العودة الى البحر » توفيقا رائعا ، ولكن ما تحذفه فدوى هو الصور الجزئية النابضة بالحرارة والحيوية ، من اجمل صورها - غير ما ذكرت في مقتطفاتي السابقة - قولها مثلا :

اسمك ؟

باطلة فجر على  
تعثري في عنمة الدرب

او قولها :

لهواك كل مواسمي امتلات

وسخت فيض جنى وازهار

لهواك افاقي مرصعة

يزهو السنن في صدرها العاري

ذلك ان الرمز الكلي الذي يستغرق القصيدة كلها كثيرا ما يحتاج

( 1 ) ، ( 2 ) من ديوان « اعطنا حيا »